مذكرات طالب

يقول أحد الطلاب وقد أصبح الآن معلماً ؛ منذ أن أصبحت مدركا لما حولي وأنا أشاهد إخوتي وأخواتي يستذكرون دروسهم وهم يتحدثون عن المدرسة بما فيها من معلمين ومعلمات وزملاء وزميلات وكان الوالدان يحفزانهم ويشجعانهم ويَعِدَانهم بالجوائز والهدايا والرحلات في نهاية السنة الدراسية ، وإن كانت الظروف لم تكن مواتية للوفاء بكل الوعود ؛ وهذا له أثره السيء في نفوسهم ؛ وكان الأولى بالوالدين عدم إطلاق تلك الوعود بصورة مؤكدة إلا بعد التأكد من وضعهما ومقدرتهما على تنفيذها .

وكنت أمني نفسي باليوم الذي أحمل فيه حقيبة المدرسة كالإخوان والأخوات .

أولا : المرحلة الابتدائية :

ومرت الأيام ودخلت المدرسة في الصف الأول الابتدائي ولكم كانت فرحتي وأنا أجلس بين مجموعة من الوجوه الجديدة الذين هم من جيلي وكلي دهشة من هذا العالم الجديد ؛ ولم أستفد من الأسبوع التمهيدي -- كما عرفته فيما بعد -- الذي لم تنفذه المدرسة بشكل جيد لظروف المبنى ومع ذلك استطعت الدخول في الجو المدرسي بشكل تدريجي ساعدني في ذلك أن والدي جزاه الله خيرا سبق له وأن سجلني في الروضة .

ومرت الأيام والأشهر والسنوات حتى وصلت إلى نهاية المرحلة الابتدائية وقد تفتحت مداركي سريعا وأصبحت أستطيع التمييز بين الخير والشر والصالح والطالح والجيد والرديء .

ومما أتذكره خلال سنوات الابتدائية الست :

مبنى المدرسة :

عمارة مستأجرة ضيقة المداخل والمخارج وفصولها لا تكاد تستوعب إلا أعدادا قليلة من الطلاب ؛ ومع ذلك فهي مشحونة بالتلاميذ بشكل يعوق حركة المعلمين ولا يمكنهم من أداء مهماتهم بالصورة المطلوبة

ولم نكن نمارس أية أنشطة رياضية لعدم وجود الأماكن الصالحة والمناسبة حتى صلاة الظهر كانت فقط للطلاب الكبار لضيق المكان المخصص لها .

قائد المدرسة :

لم نكن نشاهده كثيراً ولو حصل ودخل أحدنا مكتبه لسمع من كلمات التهديد والوعيد الشيء الكثير ؛ وهو فيما يبدو كان معتقداً أن هذه الطريقة هي المثلى للتعامل معنا باعتبار أننا مازلنا صغاراً قد يؤثر فينا هذا الأسلوب من التربية العقيمة .

وكيل المدرسة :

كان رجلاً حليماً مربياً عطوفاً يتعامل معنا كوالد للجميع لذا كنا نحبه ونأنس بقربه ونفرح فيما لو أخرج المدرس أحدنا إليه .

المرشد الطلابي :

أما المرشد الطلابي فلم نكن في تلك المرحلة نعرف اختصاصاته ولا أهمية وجوده في المدرسة ؛ والشيء الذي نعرفه أنه يجمع الطلاب في مكتبه على شكل طوابير ويتحدث معهم كثيراً ويعيدهم إلى فصولهم .

ولم أكن أعرف آنذاك أن أسلوبه ذاك غير تربوي ولا حتى أخلاقي، بل هو دليل قاطع على فشله ؛ لأن تجمع الطلاب في مكتبه أو في ممرات المدرسة يدل بكل وضوح على أن هناك خللاً في العملية التعليمية والتربوية في المدرسة برمتها ؛ وأنه غير قادر على أداء دوره بالصورة المطلوبة واحتواء المشكلة .

المعلمون :

أما المعلمون ففي الصف الأول بالذات لم يكن معلمنا على ما يرام من جميع النواحي و كنا لا ندري لماذا هو كذلك ؛ والظاهر أن قائد المدرسة من ذلك النوع الذي لا يحسن اختيار معلم الصف الأول الذي يجب أن تتوفر فيه قدرات مختلفة عن غيره من المعلمين لأنه يتعامل مع أطفال يحتاجون إلى الرعاية الاجتماعية والاحتواء الإنساني قبل الدخول في مرحلة الدراسة المنهجية ؛ ولأن

طلاب الصف الأول الابتدائي يحتاجون إلى معلم متميز يستطيع الوصول بطلابه إلى مستوى عالٍ من إجادة القراءة والكتابة على اعتبار أنها مرحلة تأسيس لما بعدها ؛ والظاهر أن قائد مدرستنا تلك من النوع الذين يختارون لتدريس الصف الأول أقل المعلمين كفاءة أو أن بعض قائدي المدارس يكلفون آخر مدرس يصل إلى المدرسة منقولا من مدرسة أخرى دون معرفة ميوله ورغباته ومدى استعداده لتدريس هذه المرحلة وهذا خطأ يتحمله قائد المدرسة دون غيره

أما في باقي سنوات المرحلة الابتدائية ؛ فالمعلمون ليسوا سواء فمنهم من كان يحسن التعامل معنا بأسلوب راقٍ ؛ ويجيد توصيل المعلومة إلى الطلاب بأسلوب جميل مستخدماً الوسائل التعليمية المتاحة ؛ وهناك فئة أخرى هم في وادي والتعليم في وادٍ آخر ، وهم نسخة مكررة من بعضهم بعضا في التعامل مع الطلاب وأسلوب أدائهم في تنفيذ الدروس حتى في التفاهم فيما بينهم والاتفاق على وجوب نقل الطلاب من مرحلة دراسية إلى أخرى نقلا آليا مستغلين وجود لائحة التقويم المستمر الذي استغلوه استغلالا خاطئا ومخالفا للطريقة الصحيحة لتطبيقه ولم يكونوا يهتمون كثيرا بتطبيق المهارات بصورة جيدة ومقننة ؛ مما أخرج طلابا أنصاف متعلمين قد تلازمهم الكثير من نقاط الضعف في مهارات الكتابة والقراءة والرياضيات ؛ ولكن أمثال هؤلاء قلة مقارنة بالنخبة المتميزة من المعلمين الأكفاء .

ولا أدري عن أولئك المقصرين من المعلمين إن كان الخلل في إعدادهم الجامعي أو في عدم التحاقهم بدورات تدريبية تعقدها إدارة التعليم لتلافي قصور الجامعة وكليات التربية خاصة وأن العادة جرت أنها لا تخرج معلما جاهزا ؛ أو قد يكون سبب ضعف بعض المعلمين لعلة في نفوسهم وهؤلاء من الصعب استصلاحهم .

مصادر التعلم :

لم نكن ندرك فائدة هذا المرفق التعليمي المهم ؛ وتزامن مع ذلك أن المعلمين لم يوجهونا إليه ولم يوضحوا لنا أهميته وأسباب وجوده .....

المنزل :

لأنني كنت طالباً متفوقاً في دراستي فلم أكن أحتاج للمساعدة من داخل المنزل إلا في حالات نادرة أجد فيها العون والمساعدة بشكل جيد مع أنهم كانوا يعتقدون أن المدرسة كل شيء ؛ وهذا بالرغم من وجود التطبيقات الحديثة التي كانت تستنزف الكثير من وقتي كغيري من إخواني وأخواتي في البيت ؛ وهذا يحدث غالبا برضى الوالدين اللذين لا يجد ان في ذلك غضاضة طالما أنها تلهينا عن إزعاجهم في البيت .

ثانياً : المرحلة المتوسطة :

كم كنت فرحاً وأنا ألج باب المدرسة المتوسطة لأنني كنت أتصور أنها أفضل من المرحلة الابتدائية لأسباب كثيرة ؛ ولاسيما وأن المبنى حكومي ويوحي بالقبول شكلاً ومضموناً؛ كما كانت الوجوه التي أمامي جديدة سواء كانوا قياديين أو معلمين أو زملائي الطلاب .

وانطلقت في هذه المرحلة الدراسية شأني شأن غيري من الطلاب ومرت الأشهر والسنوات الثلاث ؛ وقد كانت بالنسبة لي قصيرة جداً لأنها صادفتْ مرحلة المراهقة فكنت أعيش حياة من العبث والطيش ولم أرهق نفسي في طلب العلم لأسباب كثيرة ؛ وكل الذي أسعى إليه هو تكوين الصداقات والمعارف كيفما اتفق في ظل غياب التوجيه من البيت والمدرسة ؛ ونتيجة لذلك حدثت لي بعض المصادمات مع بعض طلاب المدرسة ولكن الله سلم ومع ذلك فأنا أحسن حالاً من بعض زملائي الذين اصطدموا ببعض المعلمين ولم يسلم منهم الإداريون .

والظاهر أننا جميعاً ... البيت والمدرسة ... والطلاب ... لم نكن لندرك خطورة المرحلة المتوسطة لمصادفتها سن المراهقة

وبالتالي لم نعطها حقها من الاهتمام كل فيما يعنيه؛ وأظن أن المشكلة مازالت قائمة حتى الآن .

ومما أتذكره خلال تلك السنوات الثلاث أن قائد المدرسة غالبا ما أراه مكفهر الوجه توحي ملامحه بالعدوانية وفرض السلطة حتى على زملائه المعلمين .

ولا يختلف عنه الوكيل إلا بتلك العصا التي يضعها تحت المكتب لوقت الحاجة لأنها لغته التي يجيدها في التعامل مع الطلاب ومع أن الضرب ممنوع لكن ذلك كان مباحا عند وكيلنا .

ومن حسن حظنا أن هذه الحالة لم تدم طويلا حيث تم نقل المدير والوكيل دفعة واحدة إلى مدارس أخرى ولأننا صغار فلا تعنينا تفصيلات ما حدث بقدر ما كنا نحس بالفرح والسرور

وتغيرت الأحوال تماما مع القائد الجديد والوكيل الجديد فكلاهما على قدر كبير من سمو الأخلاق وحسن التعامل مع الجميع مما كان له الأثر في نفوسنا جميعا كطلاب وصاحَب ذلك تغيُّر ملموس في أداء وتعامل بعض المعلمين الذين كنا نعدهم مقصرين ؛ حتى بعض مرافق المدرسة التي كانت منسية تم استغلالها لممارسة بعض الأنشطة الرياضية والمنهجية .

وساد المدرسة كلها شيء من الهدوء والانضباط فسارت العملية التعليمية والتربوية على نحو من التقدم الملموس.

المرشد الطلابي :

أما المرشد الطلابي فالذي أستطيع قوله إنه يحتاج إلى مرشدٍ لتقويم حاله ، وهو بعكس ذلك المرشد الذي يمتدحه إخواني كثيرا في مدرسة أخرى ويثنون عليه ويرددون اسمه في أوساط أسرتنا حتى بتنا نعرفه من دون أن نراه .

ومن هنا نعلم أن الأخلاق مثل الأرزاق يؤتيها رب العالمين لمن يشاء .

المعلمون :

أما المعلمون فهم نفس معلمي المرحلة الابتدائية يختلفون من واحد إلى آخر من حيث الأداء والتعامل

ولكن لأننا في مرحلة المراهقة تكثر مشاغباتنا ومعاكساتنا مع بعض المعلمين الذين لا يحسنون التعامل معنا .

وللأسف فليس لدى بعضهم غير التهديد والوعيد والسب والشتم وازدراء الطلاب وإطلاق بعض العبارات المرفوضة ، وفوق هذا فهم بدائيون في أداء حصصهم ولا يستخدمون الوسائل الحديثة إلا ما ندر مما جعلهم مكروهين عند الطلاب فلا يعيرونهم أي اعتبار .

وفوق هذا كله يكثر بعضهم من الغياب وآخرون ينهون عما يستخدمونه كالدخان مثلا ؛وهذه سلوكيات لا يصح أن تحدث من أي معلم ، ولأن المبني حكومي رائع يحتوي على كل المرافق اللازمة لممارسة الأنشطة الرياضية اللازمة وكذا الأنشطة المساعدة على تنفيذ المناهج الدراسية فقد كنا نمارس حصص الرياضة بشيء من الجدية والنظام ؛ كما كانت تؤدَّى بعض الحصص النموذجية في القاعات غير الدراسية ويستغل المختبر استغلالا جيدا في أداء بعض الدروس العملية ، ولكن لم يكن جميع المعلمين يستفيدون من الإمكانات الجيدة المتوفرة في المدرسة لأسباب تخصهم .

أما صلاة الظهر فكان طلاب المدرسة جميعهم يؤودنها جماعة بصورة لابأس بها.

مصادر التعلم :

بالرغم من وجودها في المدرسة وبشكل منظم ومرتب إلا أننا لم نستفد منها كثيرا لقلة زياراتنا لها ؛ ولأندري عن الأسباب الحقيقية التي حالت دون ذلك

المنزل :

لم يتغير تعامل الأهل بشكل عام في البيت عن السنوات السابقة إلا بشيء من القسوة والشدة نظرا لما يلاحظونه من

تصرفات لا تعجبهم ؛ كما أن المساعدة في حل بعض التمارين في الرياضيات واللغة الإنجليزية ومادة النحو غير موجودة بسبب أن المناهج الدراسية المقررة علينا جديدة على الأهل وبعضها فوق مستواهم ونتيجة لهذا فهم يعجزون عن مساعدتنا .

التطبيقات وقنوات التواصل الاجتماعي :

في هذه المرحلة من عمري الزمني والدراسي تعلقت بها تعلقاً كبيراً فشغلتني عن أداء مهماتي الدراسية والاجتماعية حتى ظهر ذلك واضحاً على سلوكي العام في البيت وخارجة ذلك لأنني استغليتها استغلالاً سيئاً .

ورغم أنني والحمد لله أتمتع بنسبة عالية من الذكاء إلا أنني خرجت منها بنتيجة باهته ؛ وأظن ذلك حال معظم طلاب المرحلة المتوسطة .

ثالثاً : المرحلة الثانوية :

بعد أن دخلت المدرسة الثانوية كنت قد تجاوزت مرحلة المراهقة بشكل كبير ؛ وانتقلت إلى مرحلة الرشد وتفتُّح المدارك والإستقرار النفسي والاستعداد للاستيعاب والشعور بالمسؤولية، وأحدِّث نفسي كثيراً إن هذه المرحلة فاصلة بين التعليم العام والتعليم الجامعي الذي أتشوَّف إليه بشغف واهتمام ؛ ولكن الوصول إلى تحقيق هذه الغاية لا بدله من دراسة مكثفة وفهم راسخ ؛ وفوق هذا طرق تعليمية عملية حديثة يستخدمها المعلمون أثناء تنفيذ دروسهم ولاسيما وأنني في القسم العلمي ؛ خاصة وأن المبني حكومي رائع وجميع الأجهزة الحديثة اللازمة وفرتها الوزارة وأصبحت المسؤولية تنحصر في في أداء المعلمين ولاسيما وأن الطلاب في معظمهم مقبلون باهتمام بالغ على العلم والتعلم ؛ لكن معظم المعلمين لم يكونوا موفقين في أدائهم وآخرين ظنهم فوضويون وبعضهم بعيدون عن الجو التعليمي كثيراً .

وهذا لا يتعارض مع وجود نخبة من المعلمين الفضلاء الذين تركوا أثراً إيجابياً في نفسي سأظل أحتفظ بمودتهم واحترامهم ما دمت حياً .

إدارة المدرسة :

أما إدارة المدرسة من قائد ووكلاء ومرشد طلابي فشعارهم جميعا الفوقية والتعالي وحب الظهور في معظم حالاتهم مما خلق جوا من الفجوة بينهم وبين طلاب المدرسة بصفة عامة ؛ لأن الطالب في المرحلة الثانوية أصبح رجلا يدرك جيدا ما يجري حوله ويَعُدُّ على من يتعاملون معه أنفاسهم وينظر إلى الهيئة الإدارية والتعليمية في المدرسة بشيء من النِّديَّة .

ولذا فهو يحتاج إلى نوع من التعامل المثالي من كل أولئك وإشراكه في كثير من أداء الدروس وإشعاره بأنه لم يعد طالبا صغيرا وإعداده نفسيا لما بعد المرحلة الثانوية فهي حياة أوسع وأشمل .

الطلاب :

زملائي الطلاب فالأغلبية منهم على مستوى كبير من الوعي والشعور بالمسؤولية ؛ ومن أجل ذلك عقدنا العزم متوكلين على الله على أن نبذل قصارى جهودنا حتى نتمكن من الحصول على درجات عالية تؤهلنا للقبول في الجامعات والكليات العسكرية مستفيدين من بعض المعلمين في أدائهم ومن إمكانات المدرسة التي كان يستغلها بعض المعلمين لمصلحتنا ؛وبتوفيق الله اجتزت المرحلة الثانوية بتقدير عالٍ دخلت بموجبه الجامعة .

مصادر التعلم :

لم تقصر وزارة التعليم بإنشاء مصادر التعلم وزودتها بكثير من الكتب والكتيبات التي تناسب كل مرحلة دراسية ولكنني لا أذكر أنني استفدت منها في جميع مراحل الدراسة لعدم تفعيلها بصورة صحيحة وعدم استخدامها الاستخدام الأمثل ولعدم مناسبة محتوياتها مرحلتنا الدراسية المنزل :

كان الأهل في البيت يثقون فيّ ثقة مطلقة ويعاملونني على أنني رجل ويعطونني الثقة في نفسي وبالتالي فهم لا يتدخلون في مسيرتي الدراسية في هذه المرحلة ؛ علاوة على أنني لم أطلب من أي أحد المساعدة في أي مادة دراسية لأنني أعرف إمكاناتهم العلمية

التطبيقات وقنوات التواصل الاجتماعي:

في هذه المرحلة أصبحت رجلاً ناضجاً أعرف جيداً منافع وأضرار هذه البرامج الحديثة ؛ ولذا كان تعاملي معها على أساس البحث عن كل ما يفيدني دراسيا وثقافيا مع تبادل العلاقات مع رجال فضلاء استفيد من خبراتهم ومعارفهم إلى جوانب النواحي الترفيهية ؛ ونتيجة لذلك كان أثرها إيجابيا في حياتي

ملاحظة مهمة :

فيما بعد عرفت أن ما يحدث في مدارس البنين هو نفسه في مدارس البنات مع تفوق نسبي في أداء المعلمات لأنهن يعطين طالباتهن جل اهتمامهن بدون كلل ولا ملل ولديهن القدرة على التحمل والنفس الطويل مع طالباتهن؛ ويجتهدن كثيرا في استخدام الوسائل التعليمية الحديثة المتوفرة ؛ بالإضافة إلى ما هو ملاحظ من استعداد المعلمات وطالباتهن للمنافسة وبالتالي تحقيق نتائج عالية ومخرجات تعليمية متميزة .

و نتيجة طبيعية لهذا كله كانت كفة الميزان التعليمي تُرجّح لصالح البنات في معظم جوانب العملية التعليمية والتربوية .

وبرغم الكثير من السلبيات التي واجهتني أثناء مسيرتي التعليمية إلا أنني ما زلت أردد قول الشاعر أحمد شوقي: :

قمْ للمعلمِ وفِهِ التَّبجِيلا كاد المعلم أَنْ يكونَ رسُولا